

## الفصل التاسع

### القصر الامبراطوري

متى كانت الراية الحمراء خافقة على زوايا القصر الملكي في برلين كان ذلك مؤذناً بوجود الامبراطور في القصر . فاذا خرج أنزلت . أما في أيام الحفلات الكبرى فالراية الامبراطورية الصفراء تقوم مقام الراية الحمراء

في هذا القصر جرت أهم حوادث تاريخ المملكة البروسية ثم ما تلاها بعد تأسيس الامبراطورية الالمانية . وفي هذا القصر نزل الامراء الاجانب الذين وافوا العاصمة الالمانية بعد الحرب السبعينية لتقديم التهاني لامبراطور المانيا الجديد . وفيه ايضاً كان يقيم الامبراطور والامبراطورة واولادها والحاشية الامبراطورية الى ان كانت الحرب الكبرى فغادروها ولكل زمان دولة ورجال

اما القصر فبنية فخمة ذات اجنحة شتى بنيت تباعاً في عدة قرون متوالية . طوله اربع مئة وستون قدماً واعظم ارتفاع فيه مئة قدم . اما ابوابه الحديدية الكبرى ولا سيما الباب الكبير فمزخرفة بنقوش رائعة . اما سائر الابواب الصغرى التي كانت عامة الناس في سالف الازمان تدخل منها الى القصر فمقفلة كلها ووراء كل باب منها حارس .

على ان فريدريك غليوم الثالث والامبراطور غليوم الاول خرجا عن القاعدة المرعية فكنانا يقيمان في قصر آخر في برلين .

أما غليوم الثاني فقد أقام في احد اجنحة القصر المشرفة على نهر « سبراي » يوم كان يدعى البرنس غليوم . وفي عهد ابيه . حتى اذا تولى العرش اتخذ الدور الاول مقراً له بعد ان اصلحه وجدد

وفوق الباب الكبير الذي كان يدخل الامبراطور منه الى دوائره ردهة النجوم ستيرنسال ) وسميت كذلك لان سقفها الناصع البياض مزدان بنجوم من ذهب

وطول هذه الردهة ستة عشر متراً في عرض احد عشر وهي مرصودة للاحتفالات العسكرية . وفيها مودعة أعلام ورايات حامية برلين وفيها ايضاً نموذجات كبرى لغير واحدة من البوارج الحربية . وفي الطرف الشرقي منها غرفة المساعدين ( في الخدمة ) وفي الطرف الآخر تبتدى الدوائر الامبراطورية . واول حجرة يبلغ اليها كانت في عهد فريدريك الثاني غرفة المقابلات ولا تزال كذلك الى اليوم . وهي مغطاة الجدران بالقטיפه الحربية الخضراء الصافية والرسوم التاريخية الثمينة . والى جانبها غرفة شغل الامبراطور الخصوصية ووراء هذه باب يفضي الى « ردهة المفاوضات » وفي هذه الردهة خزانتان من خشب الارز المطلي بالبرونز وهما من اربع خزائن كان فريدريك الكبير ( ١٧٧٠ ) يعرض فيها مجموعة النقود والانواط وفي احدى هذه الخزائن كانت مجموعة مذكرات الامبراطور فريدريك الخطية .

ثم وراء حجرة المقابلات وغرفة الشغل غرفة النوم الامبراطورية وبعدها غرفة التزين . وبعد ردهة المفاوضات حجرة تصل بين دوائر الامبراطور ودوائر الامبراطورة . واول ما يوصل اليه بهو ( صالون ) الامبراطورة وفيه جمعت السكَنُوز الفنية الثمينة التي يملكها الامبراطور . منها ثلاثة رسوم للرسام الفرنسي الشهير « واتو » واحد منها يقدرونه بليون فرنك . وبعد هذه الحجرة غرفة نوم الامبراطورة وفي صدرها صورة كبرى تمثل الملكة لويزيوم كانت زوجة ولي العيد ورسم آخر نصفه يمثل الامبراطور فريدريك في صباه . الى غير ذلك من الرسوم الجميلة

وبعد غرفة النوم غرفة الشغل وغرفة التزين والتبرج ، والرياش الثمين والزهور الطبيعية والاصطناعية في هاتين الغرفتين في الدرجة القصوى . والى جانب غرفة التزين غرفة الحمامات البيضاء الذهبية وفي احدى زواياها مغطس بديع الصنع من النحاس اللامع والى جانبه مرآة كبيرة كعين الديك او اصفى .

وفي جهة غرفة الحمامات باب يفضي الى سلم حديدي بشكل لولب يؤدي الى دوائر انجال الامبراطور في الدور الثاني

ثم وراء الغرف الثلاث التي ذكرناها مكتبة الامبراطورة وجدرانها مغطاة برسوم ملوك بروسيا وبعض الملوك الاجانب مثل فريدريك غليوم الاول المنتخب الأكبر

وفريدريك الكبير وبطرس الأكبر قيصر روسيا وماري تريز ملكة النمسا .  
اما الردهة التي يتناول الامبراطور والامباطورة فيها الطعام فواسعة تمسح  
تسعة عشر متراً طولاً في عرض سبعة امتار ولها اربع نوافذ كبرى وفي احد طرفيها  
باب يفضي الى حجرة الخدم .

بقيت لنا كلمة عن غرف الاستقبال واهمها من الوجهة التاريخية الردهة  
البيضاء . ومساحتها تزيد على ست مئة متر وهي مع ذلك اصغر ردهة استقبال  
بالنسبة الى سائر القصور الملكية في اوربا . في هذه الردهة تماثيل اكثر ملوك بروسيا  
وفي احدى زواياها العرش

وتتصل الردهة البيضاء بمصلى القصر وفيه تقام الاحتفالات الدينية . وقبة  
المصلى قائمة على ستة عمد وهي ذهبية ولها كوى زرقاء سماوية رسمت فيها ملائكة  
باسطة اجنحتها . واما الهيكل فمن الرخام المشغول بالفسيفساء وفوقه مظلة قائمة على  
عمد من المرمر الابيض الشرقي قدّمه الى ملك بروسيا هدية مؤسس الاسرة  
الحمدية العلوية المغفور له محمد علي باشا خديوي مصر . واما قبة بيت القربان فمن  
الباغة المذهبة المغشاة بالحجارة الكريمة . وفوق الباب صليب فضي مذهب يساوي  
مليوناً من الفرنكات

والى الجانب الآخر من الردهة البيضاء ما يسمونه بغرف الملكات . وهذه الغرف  
تؤدي الى رواق الرسوم وهو ستون متراً طولاً في ثمانية امتار عرضاً . في هذا الرواق  
كان يوضع في الاحتفالات الكبيرة — كحفلة عيد وسام السر الاسود مثلاً —  
خوان يجلس اليه لا اقل من مئة مدعو . واجر بهذا الرواق ان يدعى رواق اجداد  
الاسرة المالكة لان الرسوم المائنة جدرانها لاتعدو رسوم ملوك بروسيا وسائر الرؤوس  
المتوجة ممن تجمعهم بهم صلة قرى

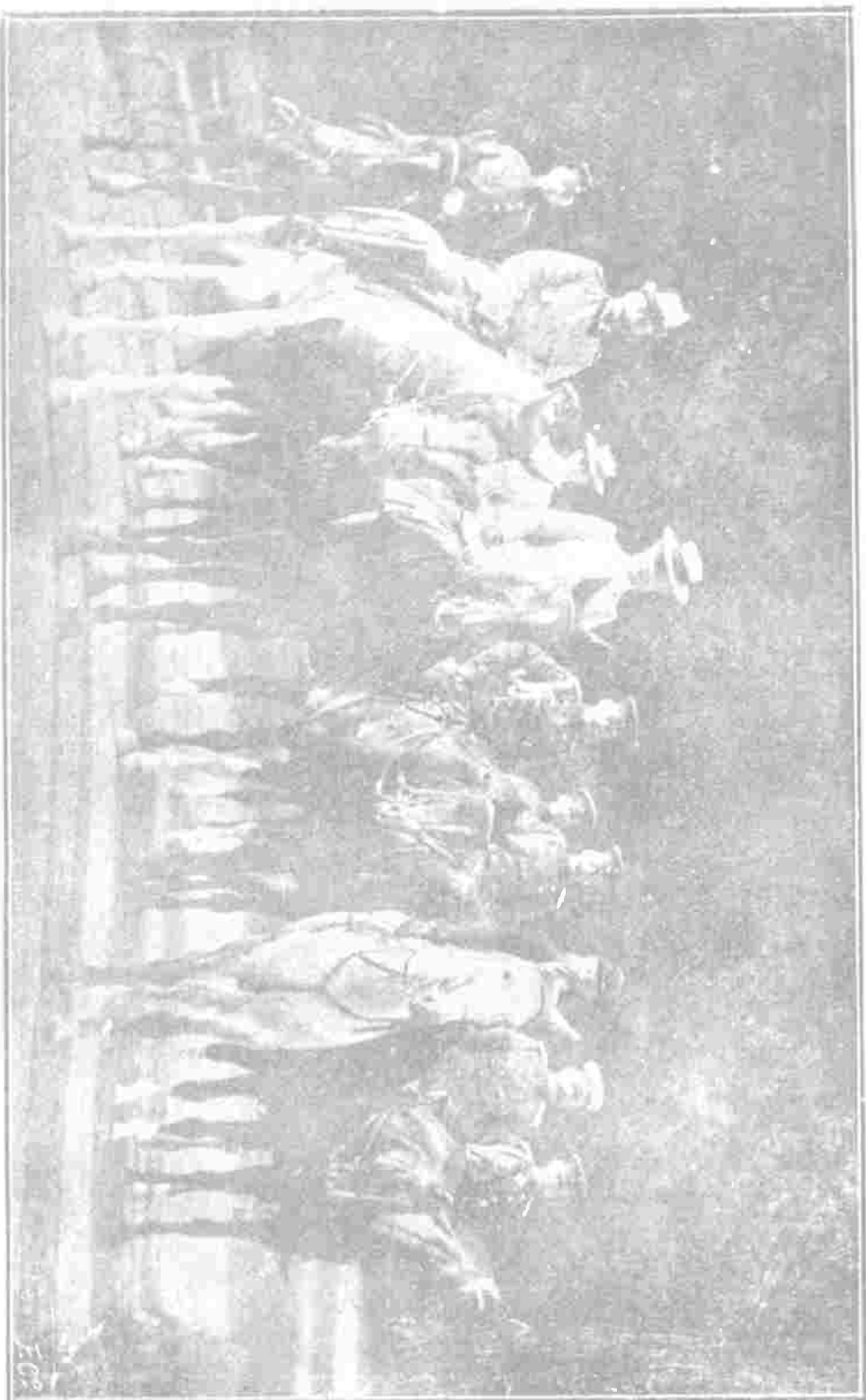
ووراء هذا الرواق المصلى الملكي القديم ثم غرف تتصل بالردهة المعروفة بردهة  
الفرسان واهم ما فيها مقصف فضي مشهور صنع في اوغسبورغ سنة ١٦٩٨ . والى  
جانب هذه الردهة غرف الاستعراض التي يجتمع فيها في الاحتفالات وهي ممتدة الى  
ما وراء الردهة البيضاء

والقصر الملكي منار بالكهرباء من عهد غليوم الثاني . الا الردهة البيضاء فقد كانت ادخلت اليها الكهربائية منذ سنة ١٨٨٢ وكان القصر قبل هذا التاريخ ينار بالشموع لان غليوم الاول كان يكره التنوير بالغاز

وكانت فصائل من رجال الخفر لا تبرح سطوح القصر ليل نهار مخافة النار اما في فصل الصيف فان الاسرة الامبراطورية تنتقل الى قصر بوتسدام الجديد وهو ذو اربعة اجنحة وطول واجهته ٦٨٠ قدماً بناه فريدريك الكبير بعد عقد صلح هو برتسبورغ وانفق عليه ستة ملايين فرنك . وفي اعلى واجهة القصر قبة منقوشة فيها رسوم ثلاث من النسوة متوجات . ويقال انه اراد الرمز بها الى خصماته الثلاث الامبراطورة ماري تريز النمساوية والامبراطورة اليزابت الروسية والمركيزة دي بومبادور الفرنسية

في احدى غرف هذا القصر ولد الامبراطور فريدريك والد غليوم الثاني وفي غرفة اخرى منه توفي . وفي الردهة الكبرى عرضت جثته . كل هذه الغرف كانت لا تستعمل وكذلك الجهة التي كانت فيها مكتبة فريدريك الكبير حيث وجدت نسخة من آثار الملك وكتابات معلقة عليها بقلم فولتير . ومع ذلك يبقى للأسرة الامبراطورية في هذا القصر اثنتان وستون غرفة مفروشة بالرياش الثمين . اما غرفة شغل الامبراطور ففي الدور الاول منها والى جانبها غرفة المقابلات . ووراء القصر بانيتان متصلتان احدهما بالآخرى للحاشية والخدم . وبين الثنتين المطابخ الامبراطورية وهي متصلة بالقصر بسكة حديدية كهربائية تسير تحت الارض حاملة اليه اصناف الطعام والوانه المختلفة





الأمير سعود والأمير المطرود وكثيريهم في زحفه  
( بين الأمير المطرود والأمير المطرود إلى الجراء الكهنة أو الأمير غ )

## الفصل العاشر

غليوم الثاني على المائدة — الايرادات الامبراطورية

كان الامبراطور والامبراطورة شديدي الاهتمام بشؤون مطبخهما كسائر افراد الناس . ففي كل يوم يصدران الاوامر الى الطهاة بما يجب اعداده في ذلك اليوم من الوان الطعام . بل ان غليوم الثاني ذهب الى ابعد مما ذهب اليه اسلافه من ملوك بروسيا . فهو اول واحد تفقد المطابخ في معية مارشال البيت الامبراطوري . بل يقال -- وهو امر لا يدهش احداً -- انه جمع الطهاة والخدم والقي عليهم خطبة توافق المقام . وقد قدر العارفون ان طعام الغداء في القصر الامبراطوري كان في الايام الاعتيادية يكلف سبعة مركات ونصف عن كل فرد . اما في ايام المآدب الكبرى فتتراوح الكلفة بين ٢ و ٢٤ و ٣٠ مركاً واحياناً تزيد

وتتناول الاسرة الامبراطورية اعتيادياً ثلاث وجبات في النهار . اما غليوم الثاني فذو شهية كبرى ونفس طيبة . والامبراطورة تشاركه في تناول الطعام حتى في ايام عرض الجيوش حين يضطر الامبراطور انى تناول الوجبة الاولى نحو الساعة السادسة وميعاد الوجبة الثانية الساعة الثانية بعد الظهر . واكثر ما يدعو الامبراطوران الى طعام الغداء . ويدعو الامبراطور من جميع الطبقات اراقية من علماء وكتاب ورسامين ونقاشين وكبار الموظفين والمهرجين . واكثر ما يحب الامبراطور من الوان الطعام اللحوم والاسماك والحمار

وميعاد الوجبة الثالثة الساعة الخامسة او السادسة اما المآدب الكبرى ففي الساعة السابعة

ثم ان المدعوين الى تناول الطعام على المائدة الامبراطورية يكشفون - على ورقة الدعوة نفسها - بما يجب ان يكونوا مرتدين به من الثياب وغير ذلك من الملاحظات

اما مدة المكوث على الطعام فخمسون الى خمس وخمسين دقيقة . ولكل اثنين من المدعوين خادم مخصوص . وبعد الطعام يجتمع المدعوون في ردهة الفرمان حيث يأخذون القهوة

\*\*\*

كان نوع الحكومة البروسية قبل خامس كانون الاول - ديسمبر ١٨٤٨ ملكياً مطاقاً فلم يكن من فرق جوهرى بين نفقات المملكة ونفقات بيت الملك . وكان الملك يستوفي من ريع املاك الحكومة كل ما يحتاج اليه من المال دون وازع او رقيب . وما يتبقى يضاف الى حاصلات الرسوم ( الضرائب ) ويرصد لسائر احتياجات المملكة ولكن لما نضبت موارد المملكة بعد الحروب النابوليونية واصبحت الدولة البروسية على شفا جرف هار رأى الملك فريدريك غليوم الثالث ان يتنازل بطيبة خاطر عن حقه في استيفاء المال من خزانة المملكة من غير حساب واصدر امراً ملكياً مؤرخاً في ١٧ كانون الثاني - يناير ١٨٢٠ بجعل املاك الحكومة ضماناً للديون المتراكمة بسبب النفقات الحربية الباهظة وأرصد لنفسه ولعائلته دخلاً سنوياً محدوداً يقارب ستة ملايين ومئتين وخمسين الف فرنك

بيد ان هذا المبلغ الزهيد ... اصبح بعد حين غير كاف للنفقات الطائلة التي اقتضاها اتساع نطاق المملكة فزيد تباعاً حتى بلغ في عهد غليوم الاول نحو تسعة عشر مليوناً وست مئة وتسعة واربعين الفاً ومئة وعشرين فرنكاً

يتبين مما تقدم ان مخصصات الخزانة الامبراطورية الخاصة لم تحدد استناداً الى قرار رسمي وافقت عليه المندوتان بل هي من موضوعات فريدريك غليوم الثالث . بيد ان هذه المبالغ كانت احياناً لا تكفي فكان لا مندوحة في مثل هذه الحال عن الالتجاء الى الثروة الامبراطورية الخاصة لتسديد العجز

على ان الثروات في بيت هوهنزولرن كانت توزع بطرق غير متساوية . فلتد كان في جملة الموارد المالية الخاصة في هذا البيت ما هو شبه اوقاف والمتنفع الأكبر منها الملك لان عليه واجبات كبرى . وأهم تلك الاوقاف يرتقي الى عهد المنتخب الأكبر فريدريك غليوم ويشمل املاكاً واسعة ذات ريع طائل . ثم يأتي في

الدرجة الثانية وقف فريدريك غليوم الاول ويلقبونه بالملك الجاويش ويتناول ثمانية عشر مايون مرك ذهباً ( نحو ٢٢ مايون فرنك ) خلفها هذا الملك بعد موته من توفيراته على ان يرصد جانب منها للاتفاق عند الضرورات القصوى والجانب الآخر ينفقه الملك في الوجوه التي يريدونها من غير تقييد .

وعدا ما تقدم كان الامبراطور غليوم الثاني جانب غير قليل من تركة الدوق دي برونسويك كثرة شخصية له بصفته زعيم أسرته (١)

(١) ظهرت في المانيا حديثاً كتب شتى عن غليوم الثاني بعد تنازله عن العرش واعتزاله في هولندا ، وفي عدادها كتاب عنوانه « هوهنزولرن » ألمع فيه كاتبه وهو الماني الى النزاع الذي قام بين الامبراطور السابق وحكومة الجمهورية على الاملاك الامبراطورية . فما جاء فيه ان هذه الاملاك كانت تشمل ثلاثة وستين قصراً وخمس عشرة ضيعة كبيرة واثنى عشر قصراً من قصور برلين وعشرين منزلاً كبيراً في اشهر احياء برلين وبوتسدام . وقد بلغت قيمة هذه الاملاك قبل الحرب ملياراً من الماركات اي خمسين مليوناً من الجنيهات

وكان غليوم الثاني رجلاً تجارياً قاسياً لم ينفق فلساً من غير ان يقيده في دفاتره التي كانت معتنى بها كاحسن دفاتر المصارف المالية الكبرى . ولم يكن يمنح عماله مرتبات كبيرة . فان عمال حدائقه مثلاً كانت تتراوح مرتباتهم بين ثلاثة ماركات في اليوم واربعة وخمسة وعشرة الى العشرين ماركاً . وكانت تدفع اليهم بدقة تامة اما مشاهرة او مرة كل ثلاثة اشهر

اما المبالغ التي تسنى لغليوم الثاني ان يوفرها في كل سنة فكانت تقدر بخمسين الف جنيه . والفضل في ذلك راجع الى طرقة كثيراً من الابواب التجارية والاقتصادية والى استثماره امواله في وجوه شتى . ولم يكن يجازف بمبالغ كبيرة في عمل واحد بل كان يوزعها توزيع خبير . وهكذا كانت له مبالغ تقدر بمليون وربع مليون جنيه مودعة للاستثمار في عدة شركات ، بين مالية وتجارية ، وشركات كهرباء ، ومعامل استصناع السفن ، وشركات السكك الحديدية ، ومناجم الفحم والحديد . وقد افادته امواله نحو ثلاث مئة وخمسين الف جنيه من قروض برهنيات في برلين كما انه اكتب في قروض الحرب المختلفة بنحو مليون ومئتي الف جنيه

## الفصل الحادي عشر

بلاط غليوم الثاني وحاشيته

يعاون الامبراطور في تأدية واجبه الامبراطوري الخطير وزرائه ومستشاروه الذين يرفعون اليه تقاريرهم وفي الازمات يوافونه مذاكرين حتى في غير المواعيد الاعتيادية المقررة . ثم عدا هؤلاء ، يوجد ثلاثة زعماء واحد للمهام الملكية وثاني للمهام العسكرية وثالث للمهام البحرية

ثم ان تحت يد الامبراطور لقضاء المهام الخاصة والمراسلات الشخصية دائرة خاصة برئيسها وكتائبها ، والى هؤلاء موكل امر النظر في شؤون الاملاك الامبراطورية الخاصة والاعمال الخيرية

اما حاشية الامبراطور العسكرية فقوامها ياوران في رتبة جنرال يقومان مقام الامبراطور في شهود الحفلات التي لا يستطيع شهودها بنفسه ويستقبلان في القصر ويشيعان الامراء الزائرين ويرافقان الامبراطور في روحاته وغدواته ونزهاته

---

ولا يعد هذا الا كتاب كبيراً بالنسبة لثروته الواسعة ، ولكن جسامه هذا المبلغ اوهمت الالمانيين انه اكتتب بكل ثروته حينئذ

وقد تناول غليوم الثاني من المانيا منذ اعتزل الى اواخر سنة ١٩٢٠ ثلاثة ملايين و٥٣ ألفاً و١٧٦ جنيهًا . وقد انفق جانباً كبيراً من هذا المبلغ في شراء قصر « دورن » الذي يقيم فيه مع ما يحيط به من الاراضي الواسعة . وعلاوة على هذا فقد ارسلت اليه من المانيا كميات كبيرة من الامتعة والاثاث والاطباق والاوواني الفضية والادوات المختلفة والتحف . حتى يقال ان لديه الآن في دورن الف صحيفة من الفضة . عدا ما اشتراه حديثاً من المانيا من الصحف المذهبة المختلفة الاشكال وما جرى مجراها

ورحلاته . ثم ان هنالك عدداً من القواد حائزين على رتبة ياوراسمياً فقط وهم لا يقومون بمتعضياتها الا في اوقات معلومة . اما في الاوقات الاخرى فيشغلون وظائفهم في الجيش . ثم تحت امرة الامبراطور والامبراطورة ستة ضباط اركان حرب لا يبرحون ردهة المقابلات ابداً

هؤلاء كلهم لا مرتبات مخصوصة لهم الا مرتبات درجتهم العسكرية . وانما يمتازن عن امثالهم في الجيش بشرائط فضية

اما الاحتفالات الكبرى فموكول امرها الى الحاحب الاكبر والمارشال الاكبر ورئيس موكب الصيد ورئيس السقاة وحامل السلاح الامبراطوري الاكبر . هذه الوظائف كلها موكولة غالباً الى امراء لا مرتبات لهم وهم لا يظهرون الا في الاحتفالات الكبرى كاجتماع مجلس وسام النسر الاسود وحفلات التتويج . في هذه الاحتفالات يمشون في الموكب الامبراطوري خلف الامبراطور تماماً ومن حول كل واحد من هؤلاء معاونه واعوانه

اضف الى ذلك القيم العام على دور التمثيل الملكية والمارشال الاكبر ورئيس التشریفات ومولج السفراء الخ . ولمارشالية البلاط اهمية كبرى لان صاحبها موكول اليه قبل كل شيء الاهتمام بشؤون القصر والاحتياجات الشخصية . فكل ما يهم الامبراطور واسرته يهمه . ولذلك فهو ذو صلة دائمة مع الوزارات والادارات العمومية ومجالس البلديات ومجالس الاقاليم الخ . واذا قلنا مارشال البلاط فانما نعني بلاط ملك بروسيا لان غليوم الثاني ليس له مارشال بلاط بصفته امبراطور المانيا . ومع ان هذه الوظيفة ذات نفقات طائلة فان هذه النفقات كلها واقعة على ملك بروسيا وحده . اما امبراطور المانيا فيستوفي في كل عام من الامبراطورية ست مئة الف مارك ( ٧٥٠ الف فرنك ) لتوزيعها على المستحقين من القائمين بخدمة الدولة ورجال الفنون المحتاجين ومنكوبي الفيضانات وسائر النكبات والالمانيين المهاجرين البؤساء ولا نطيل في تعداد صغار الموظفين في البلاط وافراد الخدم فقد كانوا اكثر من ان يحصوا . وهم ينتقون في الغالب من فرق المشاة ممن بلغوا درجة صف ضابط وعرفوا بحسن السلوك . ويفضل من كان حاملاً لوسام واصحاب الاجسام الكبيرة والبنيات القوية

قلنا ان لمارشالية البلاط اهمية كبرى ونزيد الآن بسطاً وايضاحاً فنقول :  
كان من اختصاص المارشال الاكبر استلام عرائض الطلاب وفحصها وهي تكاد  
لا يحددها احصاء . ولقد قالوا ان الامبراطور يفض العرائض المرفوعة اليه بيده وهو  
خطأ . ولربما كان ذلك ممكناً في عهد فريديريك الكبير حين كان سكان المملكة  
لا يزيدون على ستة ملايين وكانت العرائض المرفوعة الى الملك معدودة .  
اما وقد اربى عدد سكان الامبراطورية على سبعين مليوناً وعرائض الطلاب  
تكادس اكداساً فيكاد يكون هذا التخمين مستحيلاً .

ثم من اختصاص المارشال الاكبر قبول الهدايا التي ترد الى القصر بلا انقطاع  
بداع ومن غير داع تطلباً للشهرة فقط وطمعاً في الحصول على لقب « مورد للقصر  
الامبراطوري » او متعهد ولذلك اصدر غايوم الثاني امراً قاطعاً برفض كل ما يرد  
الى القصر من الهدايا ولكنهما مع هذا لم تنقطع



الامبراطور والامبراطورة في عهد الخطوبة

## الفصل الثاني عشر

كيف كان يقضي غليوم الثاني نهاره

كان غايوم الثاني في حركته الدائمة ونشاطه مضرب المثل . فهو يأنف الراحة والبطالة وقدرته على العمل تكاد تكون معجزة . فاذا أراد أن يستريح من عمل عتلي ويريح دماغه لجأ الى عمل يدوي وهو ماهر في جميع أنواع الرياضات البدنية ينهض من النوم الساعة الخامسة صباحاً فيستحم بالماء البارد . وهي عادة نافعة للجسم جداً اذا استطاع احتمالها . عودته اياها أمه وقد قلنا انها كانت انكليزية ( بنت الملكة فكتوريا ) . وبعد الحمام يلبس ثيابه حالاً . والساعة السادسة ونصف يتناول وجبة الطعام الاولى ويذهب تَوّاً الى غرفة شغله حيث تكون الرسائل والمحركات الرسمية مكدسة اكداًساً .

أما معاونوه فيكونون في مراكزهم الساعة السادسة ونصف فيذاكرهم في الامور المستعجلة الواجب انهاؤها في النهار ويذهب أحياناً نحو الساعة السابعة لمعاينة أولاده

ينظر الامبراطور اعتيادياً قبل الظهر في شؤون القصر الخاصة . أما في الايام غير الاعتيادية فيستقبل وزراءه وكبار موظفيه وقواده الساعة الثامنة ويقرأ تقاريرهم ويوقعها . وهو كثير التدقيق شديد الوطأة على موظفيه . ولا يجهل ذلك من نفسه فلماذا لا ينفك يقول لهم : اني أتعبكم ولكن لا سبيل الى غير ذلك . فأنا نفسي أقوم ب مهمة خطيرة ويأبى عليّ واجب الذمة أن أبتّ في الامور على عجل

وقد يتفق أن تبسط بين يديه عشرات من المحركات لتوقيعها وكل منها يقتضي وقتاً للنظر فيه . في مثل هذه الاحوال يرجئ توقيع القسم الاكبر الى وقت آخر وعند الساعة التاسعة اذا كان الطقس موافقاً يخرج متنزهاً في عربته ثم يتمشى والّا عدل الى الركوب . وهو فارس بارع وصياد ماهر . وقد يبقى على ظهر الجواد ست ساعات متوالية في أيام عرض الجيوش

وعند الساعة الحادية عشرة تستأنف المذاكرات ومراجعة التقارير والمقابلات من سفراء الدول والامراء وكبار الموظفين فيحادث كل واحد منهم بضع دقائق وبعد الظهر يرد الامبراطور الزيارة لوزرائه وقواده وكبار موظفيه ويذاكرهم في شؤون الدولة . ثم يتفقد الثكن العسكرية والدوائر الادارية ويزور احد المصورين المشهورين فيأخذ رسمه واذا كان لديه متسع من الوقت يخرج في مركبته متنزهاً الى الساعة الخامسة أو السادسة

وعند الساعة السادسة ونصف يعود الى مفاوضة كبار موظفيه ويقرأ التقارير المطولة ويوقع بعض ما بقي من المحررات التي تلقاها في الصباح . وعند الساعة السابعة يتعشى مع أسرته . وبعد العشاء يقضي فترة من الزمن مع أولاده ثم يعود الى العمل . ونحو الساعة العاشرة يتناول وجبة خفيفة من الطعام ( وهي الرابعة في النهار ) ويدخل غرفة النوم . وبعد قليل يستدعي خادمه الخاص ليعاونه على نزع ثيابه والى جانب السرير الامبراطوري منضدة عليها دائماً ورق أبيض وأقلام رصاص ليقيد الامبراطور الملاحظات والافكار التي تعين له قبل أن تأخذه سنة الكرى أو بعد أن ينهض في الصباح

أما في الايام غير الاعتيادية فان الامبراطور يتقاضى من نفسه ما هو أعظم من ذلك وأكثر مشقة . فاذا زار برلين ملك أو أمير كبير يضطر الامبراطور ان يقضي معه بضع ساعات في النهار بين حفلات ومآدب ونزهات . ومع ذلك فهو لا يكف عن رؤية كل المهام بنفسه . وفي مثل هذه الظروف ينهض من النوم الساعة الرابعة صباحاً ولا يتسنى له أن يدخل غرفة شغله قبل الساعة الحادية عشرة ليلقي نظرة على الجرائد والكتب الجديدة من علمية وأدبية وسياسية . ثم لا ينام الا بعد الحادية عشرة

ومثل ذلك في أيام التمرينات العسكرية وعرض الجيوش . فهو في القطار الحديدي يفحص التقارير ويوقع المحررات الرسمية

ثم ان الامبراطور ولوع بركوب البحر ولكنه لا ينقطع أبداً عن العمل وهو على ظهر يخته « هوهنزولرن » وطول هذا اليخت ١٢١ متراً في عرض ١٤ متراً وعمقه

١ أمتار و ٨ ومحموله ٤١٨٧ طنًا وقوة آلاته تسعة الاف حصان وسرعة سيره عشرون ميلاً بحرياً ونوتيته ٢٧٠ . وهو مسلح بثلاثة مدافع سريعة الانطلاق من عيار ١٠ سنتيمترات واثنى عشر مدفعاً من عيار خمسة  
في صدر هذا اليخت يتألق التاج الامبراطوري وفي المؤخرة شعار آل هوهنزولرن  
اما الدوائر الامبراطورية فالى الميمنة . ودوائر الامبراطورة الى اليسرة .  
وفي اليخت آلات للتقطير واصطناع الثلج والتنوير الكهربائي واللات  
خصوصية للاطفاء

اما في البر فللامبراطور قطار خاص لرحلاته الداخلية قوامه تسع مركبات طول كل منها سبعة عشر متراً . وقد قدرت كلفة كل واحدة من هذه المركبات بما يتراوح بين خمسين وستين الف مرك ( المرك فرنك وربع ) . أما طول القطر كله فمئة وثلاثة وخمسون متراً عدا المسافات الفاصلة بين الملاطش . ويقطرها قاطرتان ضخمتان وكل واحدة منهن تحمل ٤٦٠ قنطاراً من الفحم . وهذه الرحلات وخصوصاً الخارجية كثيرة النفقات . اما في الداخل فان نظارة السكك الحديدية تستولي من الخزانة الخاصة سنوياً بمبالغ ثقل او تكثر بنسبة عدد المركبات والقواطر التي استعملت وذلك طبقاً للتعريفة العمومية . واما في الخارج فطبقاً للاتفاقات المرحية يتحتم على الملك الزائر أن ينفج خدم البلاط الذي يزوره بمبالغ غير قليلة عدا الهدايا التي يقدمها الى الموظفين من دبايس مرصعة او ساعات او ما جرى هذا المجرى مما يقدر بثلاثين او اربعين الف مرك في كل رحلة

## الفصل الثالث عشر

العيد الوطني — وسام النسر الاسود

ليس عند الالمانيين عيد وطني على ما هو مفهوم من هذه العبارة . وانما يمكن اطلاق هذا اللقب على الحفلات التي اقيمت في اليوم الثاني والعشرين من شهر اذار - مارس سنة ١٨٩٧ بمناسبة التذكار المتوي لميلاد غليوم الاول الذي نودي به في فرسايل ( فرنسا ) امبراطوراً على المانيا وذلك بعد الحرب السبعينية . في ذلك اليوم احتفل بتدشين تمثال غليوم الاول بحضور الامبراطور والامبراطورة وملوك وامراء الامبراطورية الالمانية وكان يوماً مشهوداً غصت فيه شوارع برلين بالقادمين من جميع انحاء الامبراطورية لشهود هذا الاحتفال الكبير

أما التمثال فان الندوة الامبراطورية قررت باجماع الآراء عقيب وفاة غليوم الاول اقامته في احدى ساحات العاصمة الالمانية ثم الفت لجنة خاصة لتحقيق ذلك حتى اذا جاء ميعاد الدفع أحجمت الندوة عن تخصيص الثمانية ملايين من المراكات اللازمة لهذا الغرض ولم ترض أن تجود الا بنصفها . فرضي النقاش رنهولد ييفاس الذي كان قد عهد في صنع التمثال اليه أن لا يتجاوز هذه القيمة .

والتمثال مصنوع من الشبه ( البرونز ) وهو يمثل غليوم الاول في أواخر أيامه ( بين السبعين والثمانين ) لابساً بزة جنرال روسي وعلى رأسه خوذة . وهو راكب على جواده تقوده حورية جميلة في يدها غصن نخل . وعمود التمثال من الشبه أيضاً وهو نائم على قاعدة صليبية الشكل من الحجر المحبب ( الفرانيت ) وإلى جانبيها أسدان رابضان وامام عمود التمثال ووراء هذه الكتابة :

غليوم الكبير ملك بروسيا ١٨٦١ — ١٨٨٨

عرفان جميل ومحبة خالصة — الشعب الالماني

ثم في كل زاوية رموز للنصر وعن الجانبين رمزا للسلام والحرب . فمن جانب

«الحرب» ويمثلها جواد قتال يبطاً بسنابكه حقول الخنطة بين الزوابع والرعود . وامامه شيطانان يحمل احدهما سيفاً والآخر سوطاً . ومن جانب «السلام» وتمثله حسناء فتاة مرسلة الشعر على الكتفين يعبث به النسيم وهي نازلة من الجبال الى الوادي وعن جانبها طفلان في يد احدهما غصن نخل وعلى رأس الثاني سل زهور هي الزهور التي يملأ بها السلام الحقول

أما علو هذا الاثر فخمس وستون قدماً ونصف قدم . وعلو تمثال الملك على جواده تسع وعشرون قدماً

والقى غليوم الثاني في هذا الاحتفال خطبة على عادته في كل موقف . فبعد أن ذكر نكبات مملكة بروسيا في عهد نابوليون الاول قال : واننا لتأمل اليوم في دعة جدي وعاداته البسيطة وحبه لقضاء الواجب ولا نذهل عن انه كان ابن تلك المملكة النبيلة المحترمة الملكة لويزة التي قيل عنها انها استفادت في مدرسة النكبات والمصائب اكثر مما استفادت في مدرسة الفوز»

وهكذا ما برح غليوم الثاني يتنزه كل فرصة تسنح له لتذكير شعبه بانكساراته المتوالية في عهد امبراطور الفرنسيين الكبير نابوليون الاول اعداداً لهم لليوم العصيب فدارت عليه الدائرة وضاعت من يده تلك المملكة العظيمة التي خلفها له جده غليوم الاول

#### وسام النسر الاسود

يرتقي تاريخ وضع وسام النسر الاسود الى بدء القرن السابع عشر . أما واضعه فالملك فريدريك الاول سنة ١٧٠١ عقيب الاحتفال بتويجه . وهو أعلى وسامات المملكة البروسية ولا يتناول غير درجة واحدة ويحول صاحبه الشرف الموروث مع رتبة شفاليه ودرجة ليوتنان جنرال ( تعادل درجة فريق )

ففي السابع عشر من شهر كانون الثاني ( يناير ) من كل عام ينعقد مجلس وسام النسر الاسود ويستقبل بصورة رسمية الاعضاء الذين أخذوا الوسام في السنة المنتهية في حفلة باهرة جامعة كل اسباب العظمة والابهة والرواء . ثم في يوم الاحد الذي يلي

يحتفل في القصر الامبراطوري بأكبر الاعياد البروسية ويسمونه « عيد التتويج والوسام » ويدعى اليه كل حملة الاوسمة من جميع الطبقات والمراتب .

وتعقب هذا الاحتفال وليمة شائعة . فيدخل الامبراطور الردهة البيضاء تحيط به هالة من الوزراء والامراء والقواد وكبار الموظفين . ثم تعد الخوانات في ردهة الرسوم وأروقنها فيجلس اليها لا أقل من تسع مئة مدعو كلهم ممن تزين الوسامات صدورهم يجلسون كيفما اتفق صارفين النظر عن اختلاف المراتب والمقامات . وربما اتفق أن يكون الوزير بجانب الجاويش والقائد بجانب الصانع البسيط . وقيل الانتهاء من الطعام تبدى الانتخاب وهي على ما هو مالوف طويلة ومملة فان الامبراطور يشرب نخب من قلدنم الاوسمة وينتهز الفرصة ليفتن سامعيه ببراعته في الخطابة وتفننه في أساليبها وطرقه للمواضيع المختلفة من حماسية وخيالية . وربما اندفع في تحمسه فتكهن عن المستقبل وعلل سامعيه ونفسه بالاماني والآمال العظيمة

ثم في عداد الاحتفالات الكبرى حفلة افتتاح مجلس الراشتاغ . وهي لا تختلف في شيء عن حفلة افتتاح الندوة البروسية ( لاندتاغ ) . وتبدى بحضور أعضاء البرلمان الكاثوليكين والبروتستانت حفلات صلاة فوق العادة في كنائسهم ثم يجتمعون في الردهة البيضاء وينتظرون الموكب الامبراطوري فيمر من امامهم وتكون غالباً الامبراطورة والامراء في الجملة . وربما حضر ايضاً ملوك السكس وبافاريا وورتمبرغ الخ . ثم يجلس الامبراطور على العرش ( وحده ) والامراء أنجاله عن يمينه ويساره وفي المقاعد التالية سائر امراء البيت الامبراطوري

ثم يسلم وزير الداخلية أو مستشار الامبراطورية خطبة العرش الى الامبراطور فيضع خوذته على رأسه ويقرأ الخطبة على أعضاء البرلمان المجتمعين . ثم بعد أن يختتمها بتحيةة نواب الامة يغادر الموكب الردهة البيضاء ويعود النواب الى مجلس الراشتاغ أو الى مجلس اللاندتاغ فيفتتحون الجلسات ويشرعون في المذاكرات

## الفصل الرابع عشر

### حديث لـ غليوم الثاني

زار غليوم الثاني - حين كان يدعى البرنس غليوم - باريز عاصمة الفرنسيين ثم لما تولى عرش الامبراطورية زار على التوالي عواصم انكلترا وايطاليا والنمسا وروسيا واسوج ونروج فكان في جميعها مظهرًا لكل اكرام واعظام . بيد انه كان شديد الرغبة في زيارة باريز زيارة رسمية فتظاهر بالتقرب من فرنسا والتجرب اليها ولكن بالاقتوال لا بالافعال متذرعًا الى ذلك بكل وسيلة كاشتراك الدولة الالمانية بمعرض باريز سنة ١٩٠٠ واسراع غليوم الثاني الى ارسال رسائل التعزية تلغرافيًا الى الحكومة الفرنسية عقب وفاة المارشال كانروبرت والمارشال مكماهون والرئيس سادي كارنو . وبهذه المناسبة اطلق سراح ضابطين فرنسيين كانا معتقلين في المانيا بتهمة الجاسوسية . ثم لما احترق سوق الشقة في باريز وافتتحت جريدة الفيغارو اكتبًا بلاعانة المنكوبين جمع ما يزيد على مليون فرنك اشترك غليوم الثاني شخصيًا بالاكتتاب وتبرع لهذه الغاية بعشرة الاف فرنك . ولكن كل ذلك لم يجده فتيلًا لاعتبار الفرنسيين ان النفرة بين الالامتين الجارتين لاتزول وان الجراح لاتلتئم الا باعادة الولايتين المنسلختين ونعني الالزاس واللورين الى صاحبتيهما .

اما غليوم الثاني فقال بهذا الصدد : لست أنا الذي اوجد الحالة الحاضرة . وانما هو ميراث اتصل اليّ ولا أظن ان أحداً يخطر له أن يقرعني على قبولي اياه . ثم أنا لم أفعل (وهذا الحديث يرتقي الى ما قبل عشرين سنة أي قبيل معرض سنة ١٩٠٠) ما يزيد الحالة تلك استفعالاً وانما اجتهدت ما استطعت في التقريب بين الالامتين من الوجهتين الصناعية والتجارية فلم أفر من هذا المرام بطائل لان البعض قابلوا مساعي بما دل على قلة خبرة وكفاءة والبعض الآخر قدّره حق قدره ولكن لم تكن له جرأة ولا ساطة لتحقيقه «

ثم تطرق الامبراطور الى ذكر ما يوجس منه خوفاً على مستقبل اوربا فقال :  
أتوقع أن يداهم اوربا خطر مزدوج أو بالأحرى خطران . لا أعني بالخطر الاول  
الخطر الأصفر فان الحوادث الأخيرة قد أمنتنا جانبه ولا أعني الخطر الاحمر لانه  
مستند الى المحال والالوهام والى اغتصاب حق السوى وهو ما أرى العالم بجملة متحد  
لناهضته واتقاء شره . وانما أعني من جهة خطر التبسط المستمر في الاستعمار الذي  
يتهدد اوربا على يد واحد من عناصرها متذرع بكل ما مهدت له المدنية السبيل  
اليه من وسائل التدمير والحرب تحقيقاً لمطامعه . وأعني من جهة أخرى خطر العالم  
الجديد الذي بدأ يظهر من القابلية ما لم نره منه الى هذا اليوم . ولعله لا يحجم غداً



#### مقائى غابوم الثانى الرابع

(١) فيكتور يا دي شامبورغ ليب وهي الشقيقة الثانية (٢) شرلوت دي سكس  
مينجن وهي الكبرى (٣ و ٥) صوفيا دروتيه قبل اقترانها بولي عهد اليونان  
وبعده وهي الثالثة (٤) مرغريت دي هس وهي الرابعة

عن التدخل في شؤون العالم القديم فيتصادم في منتصف الطريق مع مطامح ذوي المطامع بيننا . هذا ما أخشاه وما أسمى الى اتفاقه غير مغتر بمطامع يعزونها اليه ليتذرعوا بها الى اطلاق سلام اوربا بحجة انهم يريدون أن يمنعوني من أن أقاتله أنا ( ه )

هذا كان حديث غليوم الثاني من نحو عشرين سنة . وانما هو قد أراد به التزلف الى فرنسا واستدراجها الى موافقته على سياسته ليتها له بموازرتها أن يحافظ على الميراث الذي أورثه اياه أبوه وجده وأن يتف في وقت معاً في وجه الدولة التي ذكر انه يخشى تبسطها في الاستعمار وتذرعها بكل ما تمهد لها المدنية السبيل اليه من وسائل التدمير والحرب . وغني عن البيان انه كان في ذلك الوقت يعني بهذه الدولة انكلترا التي كان يراها أكبر أعدائه

ومما يؤثر ذكره في هذا الصدد عن دهاء غليوم الثاني سعيه في توسيع الخرق بين فرنسا وانكلترا . وكان التنافس بين هاتين الدولتين بالغاً حده فرأى أن يتذرع لهذه الغاية بالمسألة المصرية . فوعد فرنسا بمساعدتها على اخراج الانكليز من مصر على شرط أن توافق له موافقة نهائية على معاهدة فرنكفورت ولا تعود تعالل النفس باسترجاع الالزاس واللورين ذات يوم . . . بيد ان فرنسا لم تجز عليها خدع غليوم الثاني ولم تخف عليها رغبته في الاستعمار في افريقيا - وهو الامر الذي كانت انكلترا تناهضه بكل قوتها - وأبت ( ونعني فرنسا ) أن تجعل صداقتها وسيلة لخدمة المصالح الالمانية

